(١٣)

لماذا نرفض العلمانية؟[١]

الخطبة الأولي:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، خصّنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وأتم علينا النعمة بأعظم منهاج شرع منهاج الإسلام: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا؛ محمداً عبدُ الله ورسوله، معلّم النّاس الخير، وهادي البشرية إلي الرشد، وقائد الخلق إلي الحق، ومخرج الناس من الظلمات إلي النور بإذن ربهم إلي صراط العزيز الحميد.

اللهم صلّ وسلّم وبارك علي هذا النبي الكريم، وعلي آله وصحابته، وأحينا اللهم علي سنته، وأمتنا علي ملّته، واحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصّدّيقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

رفضي الحوار مع علماني في قناة الجزيرة:

في الأسبوع الماضي شاركتُ في حلقة في قناة الجزيرة الفضائية القطرية حول الإسلام والعلمانية. اتصل بي الإخوة المسئولون في الجزيرة، وطلبوا إليّ أن

---

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ١ صفر ١٤١٧هـ - ٦/ يونيو/ ١٩٩٧م.

أشارك فاعتذرت في أول الأمر، وقلت لهم: إن كان ولابد من هذه الحلقة فليس الشخص الذي ترشحونه هو المناسب للحوار فيها، لأن الأصل في الحوار بين الإسلام والعلمانية أن يكون الإنسان مؤمناً بالإسلام باعتباره عقيدة علي الأقل، ولكنه يشكك أو يرتاب في الشريعة أو في أحكام معينة من الشريعة. أمّا أن يكون الشخص ملحداً لا يؤمن بالإسلام، لا يؤمن بالله ربا، ولا بالإسلام دينا، ولا بالقرآن منهاجا، ولا بمحمد رسولا، بل لا يؤمن بالألوهية أصلاً، ولا بالرسالات السماوية، ولا بالوحي الإلهي، فكيف نلتقي مع مثل هذا الإنسان؟ وماهي الأرضية المشتركة بيننا وبينه؟

لو كانت الحلقة حواراً بين الإيمان والإلحاد لكان هذا مناسباً، أما أن يكون بين الإسلام والعلمانية فليس هذا هو الشخص المناسب. وذلك أني قرأت لهذا الشخص من قديم كتابه (نقض الفكر الديني) الذي ينقض فيه الفكر الديني، إسلامياً كان أو مسيحياً أو أي دين، وينكر الأديان جملة وتفصيلا. وزادها بكتاب آخر سمّاه (ذهنية التحريم) أنكر فيه الأديان، ووقف فيه أمام كلّ مؤمن بالله.

ومع أنه رجل ناصري من الناحية السياسية، فقد عاب علي عبدالناصر أنه بعد حرب الخامس من حزيران – أو يونيو – ١٩٦٧م بعث إلي الملك حسين يقول له: إننا قوم نؤمن بالله، ونؤمن أن الله تعالي لن يتخلي عنا، ولعله يفتح علينا بنصر من عنده. عاب ذلك علي عبد الناصر وقال: هذه رجعة إلي الوراء وانتكاسة، كيف يدخل الدين في هذه القضية؟!

فهذا رجل لا دين له، ولذلك كان اعتراضي علي الرجل من أول الأمر.

إلحاح إخواني إثنائي عن الرفض:

ولكن الإخوة سامحهم الله قالوا: إننا ارتبطنا بالرجل ، ولابد من لقاء معه. وقد رشحت لهم عدداً من الإخوة الذين يمكنهم أن يحاوروه، ولكن يبدو للأسف أنهم لم يجدوا واحداً ممن رشحتهم، واضطروا أن يعودوا إليّ، ويلحوا عليّ أن أشارك في هذا الحوار أو في هذه الحلقة. وأنا رجل أضعف أمام الإلحاح، واستجبت لهذا الأمر، وكان هذا اللقاء الذي شاهده وسمعه الكثير منكم، أو قرأ التعقيب عليه في الصحف المختلفة.

محاور لا يتحلي بأدب الحوار:

المهم نحن لسنا ضعفاء، نحن مستعدون أن ننازل كل ملحد وكل مكابر، علي أن يكون إنسانا يعرف أدب الحوار وأدب الاختلاف. ولكن الرجل للأسف لم يكن يعرف أدب الحوار.

قلت له من أول الأمر: إن الإسلام يدعونا إلي الحوار بالتي هي أحسن. ففي الموعظة اكتفي بأن تكون موعظة حسنة: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: ١٢٥]. ولكنه في الجدال قال: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]. وذلك أن الموعظة تكون مع الموافق، والجدال يكون مع المخالف.

ولكن هذا الرجل لم يعرف الجدال بالتي هي أحسن، إنما عرف الجدال بالتي هي أسوأ، عرف المماراة بالباطل، فكان يجادل في كل شيء.. في كل قضية.

حتي حينما قلت: إن الإسلام يسع الناس بمراتبهم المختلفة: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، والله تعالي جعل هؤلاء جميعاً من الأمة المصطفاة ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [فاطر: ٣٢] فهؤلاء من الأمة المصطفاة. هذه اعترض عليها وقال: أنتم إذن مثل اليهود.. أنتم شعب الله المختار! هذا كلام تضليل وتهريج في الحقيقة، لأن شعب الله المختار شعب ذو نسب معين، وهم الإسرائيليون الذين ينتسبون إلي إسرائيل. أما الأمة المصطفاة فأمة ذات مباديء وأصول، وقيم ومناهج، فلا مانع أن تُفضل أمة لفلسفتها ومناهجها. وخيريتها جاءت من الإيمان بالله، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي أمة ليست لنفسها، أنبتها الله، صنعها الله ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣] أمة مجعولة لم تُجعل لنفسها ولكن للناس.. لهداية الناس.. لنفع الناس.. لإسعاد الناس.. لإخراج الناس من الظلمات إلي النور ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

لقد انتهت الحلقة التي استمرت حوالي الساعتين، ولكن للأسف بسبب هذه المماراة بالباطل لم نجب الإجابة الشافية للصدور عن الأسئلة التي أثارها مقدّم البرنامج، فمقدم البرنامج أثار أسئلة مهمة، وكان ينبغي أن تُعطي حقها في الإجابة، ولكن التشويش والمماراة بالباطل أفسدت علينا الجو.

تساؤلات لها أجوبة:

هناك تساؤلات: هل يقف الدين عائقا عن تقدم المجتمعات الإسلامية؟ هل الإسلام سبب في التخلف الذي تعانيه أمتنا؟ هل تقدمت الأقطار التي تبنت العلمانية؟ هل نحن في حاجة إلي العلمانية أو هي أمر دخيل علينا من عند غيرنا؟ هذه أسئلة مهمة.

هل الدين عقبة أمام التقدم؟

الدين – وخصوصاً الإسلام – لا يقف عائقا أبداً أمام التقدم، بالعكس، الدين قوة هادية ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [التغابن: ١١]، ينير الطريق للإنسان، يجعل الأمور أمامه واضحة، بحيث لا يتزعزع ولا يتزلزل، ولا يقدم رجلاً ويؤخر أخري.

الإنسان المؤمن المتدين عرف غايته، وعرف طريقه، فاستقام له الأمر، ومضي قدما إلي الأمام.

والإيمان قوة حافزة، تحفز الإنسان علي الخير.. علي العمل.. علي الإنتاج، تجعله يتعبد لله بالعمل، يعتبر العمل في دنياه.. في معاشه.. في كسب رزقه.. في عمارة الأرض عبادة وجهاداً في سبيل الله.

هذا ما تحتاج إليه أمتنا.

الإيمان قوة حافزة، وقوة ضابطة أيضا، تضبط سلوك الإنسان، تردعه عن الشر، تزعه عن المنكرات، تجعله إنساناً ملتزماً لا يبيع ضميره، ولا يبيع شرفه، ولا يبيع وطنه، ولا يبيع قيمة من القيم بملء الأرض ذهبا.

هذا هو الإيمان، هذا هو الدين.

الدين لا يقف عقبة أبداً، إلا الدين الخرافي. وهذا هو الذي حدث في

أوروبا حينما كانت الكنيسة تتحكم في رقاب الناس وفي ضمائرهم. وقفت الكنيسة مع الملوك ضد الشعوب، ومع الاقطاعيين ضد الفلاحين، ومع الرأسمالية ضد العمال، مع الجمود ضد التحرر، مع الجهل ضد العلم، مع الظلام ضد النور، ولذلك ثار الناس عليها، وقالوا قولتهم الشهيرة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس. لسنا في حاجة لا إلي الملوك، ولا إلي رجال الدين، هؤلاء أفسدوا الدنيا، وهؤلاء أفسدوا الدين. هذا ما حدث.

كان هناك محاكم التفتيش في أوروبا التي حاكمت العلماء، وأحرقت جثثهم، لأنهم اكتشفوا أشياء غير ما كان عليه العلم المعروف في الكنيسة.. العلم المدرسي. (جاليليو) و(كوبر نكس) وغيرهما اكتشفوا أشياء جديدة، هذه الأشياء الجديدة كانت عندنا نحن المسلمين. اكتشفوا أن الأرض كروية، وهذا أمر كان يدرسه طلاب المسلمين، ابن حزم في (الفصل في الملل والأهواء والنحل) يدلل علي كروية الأرض بعدة أمور[1]، في كتب التوحيد مثل (شرح المواقف) في كتب التفسير مثل (تفسير الرازي) كانوا يتحدثون عن هذه الأمور وكأنها قضايا مسلمة. وكان الغربيون يعتبرون من وصل إلي هذه النتيجة (مهرطقاً) وملحداً وجاحداً للدين، ويستحق أن يعاقب. عاقبوا الناس حتي بعد موتهم، بعد أن ماتوا حاكموهم وأحرقوا جثثهم! وهذا ليس عندنا.

التدين المرفوض:

الدين الذي يقف عائقاً هو الدين الذي يتبني الخرافات، يتبني الجبرية في العقيدة، يتبني الشركيات في التوحيد، يتبني الشكلية في العبادة، والسلبية في الأخلاق، والمظهرية في الحياة، والسطحية في التفكير، والجمود في الفقه، هذا هو الذي يمكن أن يجمد الحياة، ونحن ضد هذا النوع من التدين، نحن نحارب هذا النوع من التدين.

---

(١) انظر: (مطلب بيان كروية الأرض) في الجزء الثاني من (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ص ٢٤١ - ٢٥٥، تحقيق الدكتورين: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، نشر مكتبات عكاظ بالسعودية، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

التدين الذي يلغي شخصية الإنسان ويقول: المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح! - مع أن الصحابة كانوا يناقشون رسول الله ﷺ في كثير من آرائه ويقولون له: ليس الأمر كذلك يا رسول الله وإنما هو كذا وكذا[1].

التدين الذي يقول للناس إذا رأوا المنكر يستشري، والفساد يتفاقم، والشر يستعلن ويستعلي: دعوا الملك للمالك، واتركوا الخلق للخالق، أقام العباد فيما أراد! هذا النوع من التدين هو الذي يفسد الحياة ويدمرها.

التدين الحقيقي:

التدين الحقيقي هو الذي يعطي المؤمن القوة لمقاومة الباطل.. لمقاومة الطاغوت.. للوقوف في وجه الشر.. للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. لنصيحة أئمة المسلمين وعامتهم.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

«أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر»[2].

---

(١) كما فعل الحباب بن المنذر حينما جاء إلي النبي ﷺ قبيل معركة بدر فقال: أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل. ثم أشار عليه بمكان أفضل ليعسكر فيه المسلمون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» ثم أمر بإنفاذه. والأمثلة علي هذا كثيرة. لكن مما ينبغي ان نلحظه هو أن هذه المناقشة منحصرة في أمور دنيوية بحته لا علاقة لها بالتشريع ولا مبنية علي الوحي، فلا تكون دليلا ولا يلزم اتباعها، ولهذا بوب الإمام مسلم لهذه المسألة في صحيحه فقال: (باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا علي سبيل الرأي).

(٢) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري، وكذا أبو داود والترمذي، وفيه: عطية العوفي، ضعفوه. ورواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن أبي أمامة الباهلي، قال البيهقي: وإسناده لين، وقال: وله شاهد مرسل بإسناد جيد، ثم ساقه عن الزهري بلفظ: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر». ورواه أحمد والنسائي والبيقهي في الشعب والضياء عن طارق ابن شهاب، قال في الرياض: رواه النسائي بإسناد صحيح، وكذا قال المنذري فالمتن صحيح (فيض القدير للمناوي: ٢/ ٣٠ - ٣١) برقم ١٢٤٦). رواه أحمد (١٨٨٢٨) عن طارق بن شهاب، =

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلي إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »[1].

« إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم فقد تودع منهم »[2].

« إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علي يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه »[3].

هذا هو الذي جاء به الإسلام.

في القنوت.. قنوت ابن مسعود المعروف في المذهب الحنفي، من ضمن عباراته: « نشكرك اللهم ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك ». انظروا إلي هذه الألفاظ: « نخلع ونترك من يفجرك »، هذا هو الإسلام.

ماهو التقدم الذي يريدون؟ التقدم المادي؟

الإسلام والتقدم:

الإسلام يُعني بالتقدم المادي، والتقدم الروحي، التقدم الحسي، والتقدم المعنوي.

التقدم المادي أساس العلم، والإسلام يعتبر كل علم نافع فريضة علي الأمة، ينبغي أن تتفوق الأمة في كل العلوم بحيث لا تكون عالة علي غيرها، وبحيث

= وقال مخرّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٥٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٧٨٣٤).

(١) رواه الحاكم والديلمي والضياء المقدسي عن جابر بن عبد الله، قال الحاكم: صحيح. وتعقبه الذهبي بأن فيه (حفيد الصغار) لا يُدري من هو. وعند الطبراني عن ابن عباس، قال الهيثمي: وفيه ضعف (فيض القدير للمناوي: ٤ / ١٢١ برقم ٤٧٤٧). ولكن الشيخ الألباني صححه من طريق رواها الخطيب في تاريخه انظر: الصحيحة رقم (٣٧٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٦٧٧٦، ٦٧٨٤) عن عبد الله بن عمرو وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه، وصححه الشيخ شاكر، ودافع عن تصحيحه دفاعاً بليغاً، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار بإسنادين رجال إسناد أحدهما رجال الصحيح. (٧ / ٢٦٢) ورواه الحاكم (٤ / ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (١) عن أبي بكر، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ورواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٨) والترمذي في التفسير (٣٠٥٩) وابن ماجه في الفتن وبنحوه (٤٠٠٥) وقال النووي في الأذكار والرياض: أسانيده صحيحة.

تكتفي اكتفاء ذاتيا فيما يتعلق بالعلوم والتكنولوجيا. ولذلك قال علماؤنا من قديم: إن تعلم الطب والهندسة والرياضيات وغير ذلك فرض كفاية علي الأمة، وكذلك تعلم الصناعات.

ومعني هذا أن الإسلام يفرض علي الأمة، بالتضامن، أن تكون أمة قوية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. كيف تعدّ الأمة ما استطاعت من قوة؟ تعد نفسها علميا وتكنولوجيا، هذه فريضة علي الأمة.

العلم عندنا ليس مقابل الدين، الفكر ليس مناقضا للإيمان، الحكمة ليست مناقضة للشريعة، هذا في أديان أخري، أما عندنا فهناك تآخي بين هذه القيم بعضها وبعض، الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين.

وقد رأينا كثيرا من علمائنا أئمّة في علوم الدين: الفقة والتفسير ونحو ذلك، وأئمة في علوم أخري[1]. كان الفخر الرازي إماماً في التفسير، وفي الفقة، وفي أصول الفقة وله كتبه المعروفة، وقالوا: كانت شهرته في الطب لا تقل عن شهرته في التفسير والفقه وأصول الفقة.

ابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية الصغري، كان من فقهاء الشافعية، ترجم له ابن السبكي في كتابه (طبقات الشافعية).

كذلك وجدنا العلامة ابن رشد أعظم شارح لأرسطو، وبعض مؤرخي الفلسفة اعتبره أعظم فيلسوف إسلامي علي الإطلاق، وهو طبيب شهير له كتاب (الكليات في الطب) انتفعت به أوروبا عدّة قرون وترجموه إلي اللاتينية، وهو كذلك فقيه مالكي من أعظم الفقهاء، وكان قاضيا شرعيا، وله كتابه الشهير (بداية المجتهد ونهاية المقتصد).

ليس عندنا صراع بين الدين والعلم كما عرف ذلك في تاريخ أوروبا[2].

---

(١) انظر كتاب فضيلة الشيخ «تاريخنا المفترى عليه» فصل «تاريخ له مآثر ومفاخر» ص١٢٥.

(٢) انظر: رسالة (الدين في عصر العلم) – أو الفصل الأول من كتاب (بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين) لسماحة العلامة القرضاوي. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

إن كانوا يريدون التقدم العلمي، فالإسلام يرحب بالتقدم العلمي، ويعتبره فريضة علي الأمة الإسلامية في مجموعها.

الإسلام والتقدم الاقتصادي:

إن كانوا يريدون التقدم الاقتصادي، فالإسلام يفسح المجال للاقتصاد. تعاليم القرآن والسنة جاءت تدعو إلي زيادة الانتاج، وإلي ترشيد الاستهلاك، وإلي سلامة التداول، وإلي عدالة التوزيع، وتجند الأمة تجنيداً لترتفع بمستواها.

لم يعتبر الإسلام المال كما اعتبرته المسيحية: (لا يدخل الغني ملكوت السموات حتي يدخل الجمل في سم الخياط) كما رُوي عن المسيح. لا، ليس في الإسلام هذا. حكوا أن رجلا جاء إلي المسيح عليه السلام يقول: أريد أن أؤمن بك وأتبعك، قال له: اذهب فبع مالك واتبعني! لم يقل الإسلام ذلك، بل قال: (نعم المال الصالح للرجل الصالح»[1]، وقال: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»[2] وكان عليه الصلاة والسلام يدعو الله فيقول: «اللهم إنّي أسألك الهدي والتقي والعفاف والغني»[3]، وامتن عليه ربه فقال: ﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾ [الضحي: ٨] أي وجدك فقيرا فأغناك. وكان يستعيذ بالله من الفقر والكفر[4]، أي يعتبر الفقر مصيبة يستعاذ بالله من شرها. هذا ما جاء به الإسلام.

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (١٧٧٦٣، ١٧٧٦٤) عن عمرو بن العاص، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. ورواه ابن حبان (٣٢١٠) والطبراني في الأوسط (٣٢١٣) والحاكم (٢/٢٣٦).

(٢) جزء من حديث، وتمامه (فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟) رواه أحمد (٧٤٤٦، ٨٧٩٠) عن أبي هريرة، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح علي شرط الشيخين، ورواه النسائي في الكبرى (٨١١٠) وابن حبان (٦٨٥٨).

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢١) عن ابن مسعود.

(٤) رواه أحمد (٢٠٤٠٩) عن أبي بكرة: أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر» وقال مخرّجو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم، ورواه ابن أبي شيبة (٣/٣٧٤) والبزار (٣٦٧٥) والنسائي في المجتبى (٣/٧٣).

فإذا كان التقدم يعني التقدم الاقتصادي فأهلاً وسهلاً به، الإسلام يرحب بذلك ويدعو إليه، ويحارب الفقر بكل وسيلة، وأول الوسائل: العمل.. تجنيد الأمة لتعمل.. لتنتج، لا تعيش أمة مستهلكة، لا تعيش مستوردة وغيرها يصدر إليها كما هو الحال في بلادنا نحن المسلمين، نستورد الأقوات، ونستورد السلاح، ونستورد الصناعات الثقيلة، وهكذا[1].

نحن نقول: التقدم لا يقف الدين عائقا أمامه.

الإسلام والتقدم الصحي:

إن كانوا يريدون تقدم الصحة، فالإسلام يريد أمة سليمة الأجسام، قوية الأبدان: «المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف»[2]. ولأول مرة في جوّ الدين يسمع الناس هذه الكلمة «فإن لجسدك عليك حقا»[3]، الناس كانوا يسمعون: (إن لربك عليك حقا) إنما أن يكون للبدن حق علي الإنسان فأول مرة يسمعون هذا.

ومن حق هذا البدن عليك أن تطعمه إذا جاع... أن تريحه إذا تعب.. أن تنظفه إذا اتسخ.. أن تداويه إذا مرض فـ«ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»[4] «عرفه من عرفه وجهله من جهله»[5].. أن تحافظ عليه وتقيه من الأمراض فـ«الوقاية خير من العلاج»، فهذا حق البدن.

---

(١) انظر: فصل (القيم والأخلاق في مجال الانتاج) وفصل (القيم والأخلاق في مجال الاستهلاك) من كتاب (دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الإسلامي) لسماحة الشيخ القرضاوي. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري في الصوم (١٩٧٥) عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه البخاري في الطب (٥٦٧٨) عن أبي هريرة.

(٥) جزء من حديث رواه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود، وأوله: «ما من داء إلا وله دواء» قال العراقي: وإسناده حسن، وللترمذي وصححه من حديث أسامة بن شريك «إلا الهرم». انظر: (إحياء علوم الدين للغزالي بتخريج العراقي: ٤ / ٢٨٤).

الإسلام جاء يدعو إلي أن يحافظ الناس علي صحتهم بالعلاج، وبالوقاية قبل العلاج، ومن هذه الوقاية: النظافة.. الطهارة التي هي شرط في صحة الصلاة، وأول ما يدرس المسلم في كتب الفقه: كتاب الطهارة.

الإسلام يريد الإنسان النظيف، النظيف مادياً، والنظيف معنويا، ويقول ﷺ: «حق لله علي كل مسلم: أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده»[1]، علي الأقل كل أسبوع مرة، هذا هو الحد الأدني. والمسلم تعتريه أشياء طبيعية توجب عليه الاغتسال وتوجب عليه الوضوء كلما أراد الصلاة أو أحدث.

جاء الإسلام يحافظ علي الأمة، وينهاهم عن التبول والتبرز في الطرقات، وفي الظل، وفي موارد المياه، وغير ذلك[2]، واعتبر ذلك مما يجلب اللعنة. ونهي عن المسكرات والمخدرات[3]، وتناول كل ما يضر ببدن الإنسان، فإن الإنسان لايجوز له أن يقتل نفسه ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]. هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام والتقدم العسكري:

إن كانوا يريدون التقدم العسكري والقوة العسكرية، فالإسلام قال: «﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠] ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [الحديد: ٢٥] بأس شديد، إشارة إلي الصناعات الحربية، ومنافع للناس: إشارة إلي الصناعات المدنية، واعتبر من يصنع السهم مثل الذي يرمي به، هو شريك في الأجر، ويعتبر من المجاهدين.

---

(١) رواه البخاري في الجمعة (٨٩٦) ومسلم في الجمعة (٨٤٩) عن أبي هريرة.

(٢) ذكرت عدداً من الأحاديث الدالة علي هذه المسائل في هامش الصفحتين ٢٣، ٢٤ من الجزء الرابع من هذه السلسلة (خطبة: الرياضة في الإسلام).

(٣) انظر خطبتي: (اليوم العالمي لمكافحة المخدرات) و(الشباب ووباء المسكرات) في الجزء الرابع من هذه السلسلة.

الصناعة الحربية نوع من الجهاد، لأنه لاجهاد إلاّ بأسلحة. وإذا كنت لا تصنع السلاح فسوف تضطرّ إلي أن تستورده من عدوّك كما هو حالنا اليوم. لا نملك صناعة الأسلحة وإنما نشتريها، يعطينا غيرنا ما لا يحتاج إليه من الأسلحة بعد أن ينفد وقتها يتخلص منها ببيعها لنا.

الإسلام يعطينا كل ما يحتاج إليه التقدم، الإسلام يعطينا الحوافز للوصول إليه، ويعطينا المناهج الصحيحة للوصول إليه بطريق صحيح، فلا يمكن أن يكون الدين عائقاً في طريقنا إلي التقدم.

بالعكس، الذين يريدون أن يفرغوا أمتنا من الجانب الديني، يريدون أن تدخل معركتها مع أعدائها خاوية ضعيفة رخوة العود.

اليهود يجندون الدين في المعركة معنا. ما الذي جمع اليهود من الشرق والغرب، ومن الشمال والجنوب؟ لقد عاشوا في أوطان مختلفة، وبيئات مختلفة، جمعوهم علي أساس التوراة والتلمود، جمعوهم علي أساس العقيدة الدينية، ودفعوهم للمعركة من أجل هدف ديني هو: أرض الميعاد. فكيف نرضي أن يستغل العدو الدين في المعركة ضدّنا ونحن نطرد الدين من حياتنا ونريدها علمانية صريحة؟ لحساب من هذا؟ ليس لحساب أحد إلا لليهود ومن وراء اليهود.

اليهود يدخلون المعركة ومعهم التوراة، ونحن ندخلها وليس معنا القرآن، يقولون: موسي، ولا نقول، محمد مع أننا أولي بموسي منهم، يعظمون يوم السبت، ونحن لا نعظم يوم الجمعة، يقولون: الهيكل، ولا نقول: المسجد الأقصي!.

من هو عدو الأمة؟ عدوّ الأمة هو الذي يريد أن يفرغ هذه المعاني من ضمير الأمة، لتدخل الأمة المعركة مجردة من أسلحتها الحقيقية.. سلاح الإيمان.

تجربتان معاصرتان مع الدين:

نحن جربنا معركتين:

١- معركة (٥ يونيو ١٩٦٧م)، وبالأمس كانت ذكراها، مرت ثلاثون سنة

علي هذه الذكري الأليمة الحزينة، يسمونها معركة الأيام الستة، والحقيقة أنها معركة الساعات الست، لأن الساعات الست الأولي بينت نتيجة المعركة، انكشف كل شيء. كان شعار هذه المعركة (برّ.. بحر.. جو)، ولم ننتصر في برّ ولا بحر ولا جوّ، لأننا لم نجندّ جنودنا تحت اسم (الله)، لم نقذف في قلوبهم شرارة الإيمان. كنا نقول لهم: حاربوا ووراءكم فلانة المطربة، وفلان المطرب، وفلانة الممثلة، ويوزعون عليهم صور المطربين والمطربات والممثلين والممثلات. لم يوزعوا عليهم المصاحف، لم يقولوا (لا إله إلا الله) كما قال الله تعالي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾

[الأنفال: ٤٥]

هكذا ينبغي أن نعلّم أبناءنا إذا خاضوا المعركة، أن يذكروا الله، أن يقولون: (اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم).

كان الواجب أن يتطلعوا إلي السماء، ولكنهم علّموهم أن يتطلعوا إلي كل جهة إلا إلي جهة السماء.. إلا إلي الله عز وجل. فكانت النتيجة أن حدث ما حدث: هزيمة سموها (نكسة)، وضياع سيناء والضفة الغربية والجولان.

هكذا كانت النتيجة.

وأصبحت السياسة العربية وقد تغيرت تماما، بعد أن كانت قبل ذلك تقول: إزالة اسرائيل هي الهدف، بعد عدوان (٥ حزيران ١٩٦٧) لم يعد الهدف إزالة إسرائيل، وإنما (إزالة آثار العدوان)! كأن العدوان الجديد أضفي الشرعية علي العدوانات القديمة فأصبحت مقبولة، وأصبح ما أخذت إسرائيل من قبل حلالاً زلالاً لها. (حيفا) و(يافا) و(عكا) و(اللد) و(الرملة) وغيرها أصبحت ملكاً خالصا وحقا لها بهذا الاعتراف: إزالة آثار العدوان!

٢- معركة (٦ أكتوبر ١٩٧٣م) أو (العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ)، أنا

أفضل أن اسمي هذه المعركة: معركة العاشر من رمضان، لأن رمضان كانت له نفحاته وإيحاءاته. في هذه المعركة حدث شيء آخر، الجنود دخلوا المعركة تحت شعار (الله أكبر). الله أكبر فعلت فعلها: عبروا القناة، اقتحموا خط بارليف، وصلوا إلي القنطرة، وكان يمكن أن يصلوا أكثر وأكثر.

إن أمتنا لا يمكن أن تُجنَّد إلاّ تحت لواء الإيمان.. تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله). أمسك بالمصحف وقُد هذه الأمّة تنقاد وراءك، وتفعل الأعاجيب، وتتخطي المستحيلات.

كل أمة لها مفتاح لشخصيتها كمفتاح السيارة، لا تستطيع أن تقود سيارة بمفتاح سيارة أخري، إنما كل سيارة لها مفتاح خاص، ومفتاح أمتنا: الدين.. الإيمان.. أن نجندها ونفجر طاقاتها المكنونة باسم الله.

حينما تقول لها: يا رياح الجنة هبيّ، ويا خيل الله اربكي، ويا كتائب الله سيري، ستجد هذه الأمة وقد تحولت إلي فرسان.. إلي أبطال. الإنسان العادي يصبح بطلا لأن الإيمان سار في أعماقه، وخالط بشاشته قلبه، فتحول إلي إنسان آخر، كما رأينا الصحابة رضوان الله عليهم.

كيف أنشأ الإسلام الحضارة العربية؟

ما الذي غير الصحابة؟ ما الذي أنشأهم خلقاً آخر؟ كانوا يعبدون الأصنام، ويشربون الخمور، ويعيشون في اللهو واللعب، فجاء الإسلام فغيرهم، صبت في عروقهم الإيمان الصحيح.. التوحيد.. أن لا إله إلا الله.. لا يستحق العبادة إلا الله.. لا يرُجي ولا يخشي إلا الله.. لا يخضع له ولا يُذلّ له إلا الله، فأنشأ من هؤلاء أمة جديدة.

العرب لم تكن لهم فلسفة اليونان، ولاقانون الرومان، ولا تمدن الفرس، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، كانوا أمة بيان وبلاغة، لم يكن عندهم ما عند تلك الأمم، كانت تغلب عليهم الأمية والبداوة. ما الذي نفخ في هذه الأمة الروح وجعلها في أقل من قرن تمتد شرقا وغرباً وشمالاً وجنوبا؟ وصلت إلي الصين

شرقاً ووصلت إلي إسبانيا (الأندلس) غربا، وأصبحت أمة ضخمة أقامت دولة العدل والإحسان، وحضارة العلم والإيمان. ما الذي فعل ذلك؟ إنه الإسلام.

يقولون: هل للإسلام علاقة بتخلف الأمة؟ لا والله، ولو كان للإسلام علاقة بالتخلف الذي نعانيه ما تحضرت أمتنا من قبل، كانت هي أمة الحضارة الأولي. نحن الآن يقولون عنّا: (العالم الثالث)، وربما كان بعضنا في العالم الرابع لو كان هناك عالم رابع!

كنّا نحن العالم الأول، وكانت حضارتنا هي الحضارة السائدة في العالم كله، منها يتعلم الناس، جامعاتنا هي موئل الطلاب في العالم، كتبنا وكتب علمائنا هي المراجع، لغتنا العربية هي لغة العالم. هكذا كنا قرونا، ليس قرنا ولا قرنين ولا ثلاثة، قروناً عدة ونحن في الصف الأول، ونحن أساتذة الحضارة، منا تعلم الأوربيون، أخذوا المنهج العلمي التجريبي منا وطبقوه وتخلفنا بعد ذلك، تقدموا وتخلفنا، واستيقظوا ونمنا، ونشطوا وقعدنا.

نحن عندنا من الحوافز، وعندنا من القيم، وعندنا من المناهج، ما يمكن أن يعيدنا إلي ما كنا فيه مرة أخري، ولسنا في حاجة إلي العلمانية قط.

التناقض بين العلمانية والإسلام:

العلمانية حلت مشكلة عند الغربيين، ولكنها هي نفسها مشكلة عندنا، لأنها تجعل المسلم في صراع بين عقيدته ومجتمعه، بين ما يؤمن به وما يعيشه. المسلم يعتقد أن الله أنزل القرآن حكماً في كل شيء ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ المائدة: ٤٩]. لا يجوز أن يترك بعض ما أنزل الله حتي لا نكون كبني إسرائيل الذين قال الله فيهم: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٥]. فالمسلم الذي يعيش في دولة علمانية تأخذ ببعض الكتاب وتدع بعضا، تؤمن ببعض وتكفر ببعض، يعيش في صراع دائم وفي قلق

مستمر بين ما يؤمن به وبين ما يعايشه ويشاهده. فالعلمانية مشكلة وليست حلاً لمشكلة في ديارنا.

يمكن للمسيحي أن يقبل العلمانية لأن المسيح قال له: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله[1]. قَبِلَ قسمة الحياة وقسمة الإنسان. أمّا الدين عندنا فلا يقبل هذه القسمة، الإنسان وحده، والحياة وحدة.

قد نقسم الإنسان نظرياً إلي جسم وروح، وعقل وعاطفة، ولكنه شيء واحد، والحياة نهر واحد ونسيج واحد، ما يؤثر في جانب منها يؤثر في الجانب الآخر، ولذلك عندنا: قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد. لا يقبل الإسلام شريكا مع الله، لا قيصر ولا كسري ولا أحد، الله هو مالك هذا الكون كله، ومدبر هذا الكون كله، وحاكم هذا الكون كله، وهو الذي يأمر وينهي، ويشرع ويحلل ويحرم ﴿ **لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ** ﴾ [يونس: ٦٦] ﴿ **وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٩]

تركيا نموذج[2]:

فالعلمانية في بلادنا تكوّن مشكلة ولا تحل مشكلة.

---

(١) وهذا الكلام المنسوب إلي المسيح عليه السلام علي فرض صحته، فإن أقصي ما يمكن أن يدل عليه – كما يري الأستاذ محمد قطب – هو أنه يقول لهم: إننا لم نؤمر الآن بقتال قيصر، فإذا فرض عليكم الجزية ولا قبل لكم اليوم برد سطوته عنكم، فادفعوا له الجزية حتي يأتي اليوم الذي يؤذن لكم فيه بالقتال لإخضاع قيصر لشريعة الله، ولكن الكنيسة حملت هذا الكلام – علي فرض صحته – فوق ما يحتمل وزعمت أن معناه أن من حق قيصر أن يحكم عالم الأرض علي أن يحكم الله عالم السماء، أو أن الأبدان لقيصر يفعل ما يشاء في الحياة الدنيا، ولله الأرواح في الآخرة. وهكذا سمحت للعالم المسيحي أن يحكمه القانون الروماني في كل شئونه، وأن ينحصر سلطان الله علي عباده في الشعائر التعبدية والأحوال الشخصية. وتم بذلك فصل العقيدة عن الشريعة، وتم المسخ الكامل لدين الله. انظر (مذاهب فكرية معاصرة) لمحمد قطب، ص (١٦– ١٧).

(٢) للمزيد من معرفة ما قامت به العلمانية في تركيا، راجع ما ذكر فضيلة الشيخ في كتابه: «التطرف العلماني في مواجهة الإسلام» فصل «العلمانية المتطرفة: النموذج التركي» طبعة أندلسية للنشر والتوزيع. المنصورة. مصر.

وقد رأينا البلاد التي تبنت العلمانية ماذا فعلت؟ أول بلد تبني العلمانية (تركيا)، ولم يرضي بذلك الشعب التركي. الشعب التركي قاوم وقدم الآلاف وعشرات الآلاف من الضحايا والشهداء، ولكن انتصرت العلمانية التي كانت مؤيدة من القوي الغربية والقوي الصليبية، انتصرت بالحديد والنار.. بالعنف والدم، وفرضت نفسها علي الشعب التركي، وألغت تراث هذا الشعب، حالت بينه وبين تراثه الذي كان مكتوبا بالحروف العربية. كانت التركية مثل الفارسية ومثل الأردية ومثل كثير من اللغات الإسلامية في آسيا وأفريقيا، كانت مكتوبة بالحرف العربي، ألغوا الحرف العربي، فأصبح هناك حاجز متين بين الأجيال الجديدة وبين هذا التراث، لا يستطيعون أن يقرأون ولا يعرفون.

حرموا علي المسلمة أن ترتدي الحجاب، ولازال هذا إلي اليوم، حرم ذلك أتاتورك وأصدر قانوناً يمنع المسلمة أن تلبس الحجاب، لم يجعلوا هذا من الحرية الشخصية.

حرّموا علي المشايخ أن يلبسوا العمامة والجبة، خطباء المساجد كان لكل منهم عمامة وجبة، يلبسها في المسجد، فصاروا لا يستطيعون أن يخرجوا بها إلي الشارع، القانون يمنع هذا.

حرموا الأذان باللغة العربية، حتي كلمة (الله أكبر) هذه منعوها باللغة العربية. ولم يُبح ذلك إلا في الستينات، حينما جاءت حكومة (عدنان مندريس) رحمه الله وغفر له، فأعاد الأذان باللغة العربية، وسمع الناس بعد سنين طويلة لأول مرة من المآذن (الله أكبر الله أكبر) فخروا سجودا في الشوارع شكراً لله عز وجل.

وجاء عدنان مندريس وسمح ببعض الأنشطة الدينية منها: إنشاء المدارس القرآنية.. مدارس تحفيظ القرآن، وإنشاء مدرسة أو اثنتين لتخريج الأئمة والخطباء. عمل بعض الإنفتاح فكانت النتيجة أن قام الجيش وانقلب عليه، وأخذه وأعدمه وأخفي قبره عن الناس.

وهذا الجيش هو الذي يقاوم التوجه الإسلامي اليوم، الجيش التركي هو حامي حمي العلمانية – أتاتورك الذي مات من عشرات السنين يحكم تركيا من قبره – ويرفض توجه الشعب إلي الإسلام، والمعركة قائمة اليوم بين التوجه الإسلامي والتوجه العلماني، التوجه العلماني يؤيده الجيش وتؤيده من ورائه القوي الغربية وتؤيده إسرائيل والصهيونية.

فشل الأنظمة المستوردة في بلادنا:

هل نحن نرحب بهذه العلمانية؟ العلمانية التي تتعاون مع إسرائيل عدو الإسلام والمسلمين، ومع الصهيونية المغتصبة المعتدية ضد الفلسطينيين وضد العرب وضد المسلمين وضد المسجد الأقصي، من يرحب بالعلمانية هذه؟ وماذا كسبت تركيا من وراء العلمانية؟ لم تكسب شيئا. قالت كاتبة تركية حصيفة هذه الكلمة: كنا أول دولة في الشرق فأصبحنا آخر دولة في الغرب! أي أصبحنا ذيلا للغرب، حتي الغرب في بعض الأحيان لا يعترف بها ويقول: إن تركيا لها حضارة غير حضارتنا – رغم ارتمائها في أحضان الغرب وسيرها في ركابه – وثقافة غير ثقافتنا.

هذه الأمة مفتاح شخصيتها الإسلام:

إن الأمة الإسلامية لا ينفعها أن تتبني العلمانية، بالعكس، العلمانية شر عليها وخطر علي مادياتها ومعنوياتها. هذه الأمة أمة مسلمة، مفتاح شخصيتها الذي يحركها ويفجر طاقاتها ويستخرج مكنونات ابداعاتها هو الإسلام. حركها بالإسلام تتحرك، قُدها بالإسلام تنقد، الإسلام وحده هو الجدير بتحريك هذه الأمة وتجنيدها، والخروج بها من مآذق التخلف الذي تعانيه.

للأسف كل الأمة الإسلامية تقريبا في دائرة البلاد النامية. هناك بلاد بدأت تنهض مثل ماليزيا وأندونيسيا، ولكن لازلنا في الجملة في دائرة البلاد النامية، والبلاد النامية – كما قلت لكم من قبل – تعبير مؤدب مهذب للبلاد المتخلفة، ولا يخرجنا من هذه الدائرة إلي دائرة أعلي إلا إذا عدنا إلي هويتنا الحقيقية، وعرفنا

من نحن؟ نحن مسلمون، لا يمكن أن نعيش بغير الإسلام، الإسلام هو هويتنا، هو انتماؤنا، هو محور حياتنا، هو أساس وجودنا، لا مبرر لوجودنا إلا بالإسلام.

إذا تبنينا الرأسمالية وانتصرنا فلم ننتصر نحن، الرأسمالية الغربية هي التي انتصرت. إذا تبنينا الاشتراكية وانتصرنا فليس هذا انتصارا لنا، هو انتصار للاشتراكية العالمية. إنما ننتصر إذا انتصرنا بالإسلام وللإسلام.

لابد لأمتنا أن تتبني هذا الدين ولا شيء غيره، وقد قالها إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وبماذا صلح أول هذه الأمة؟ بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بالإسلام الأول، الإسلام الذي لا يضاف إلي عصر من العصور، ولا إلي دولة من الدول ولا إلي شخص من الأشخاص، لا يُضاف إلا إلي القرآن والسّنّة.

الإسلام الأول هو أساس حياتنا، ومبرّر وجودنا، وأساس نهضتنا وتقدمنا، فإذا اعتصمنا به فقد اعتصمنا بالحبل المتين وهُدينا إلي الصراط المستقيم.

أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالي لي ولكم، فاستغفروا إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له يسبح له ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير. وأشهد أن سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلي آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدي بسنته وجاهد جهاده إلي يوم الدين.

أما بعد، فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالي فيها خيرا إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شرّ.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم افتح لنا فتحا مبينا، واهدنا صراط مستقيما، وانصرنا نصرا عزيزا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك، اللهم انصرنا علي أعدئك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا علي اليهود المعتدين الغادرين، اللهم انصرنا علي الوثنيين المتعصبين، اللهم انصرنا علي الصليبيين الحاقدين، اللهم انصرنا علي الملاحدة الجاحدين، اللهم انصرنا علي الطغاة الجبارين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. اللهم رد عنا كيدهم، وفُلّ حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلا علي أحد من عبادك المؤمنين، وخذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر يارب العالمين.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين وفي لبنان، وانصر إخوتنا في كشمير وفي السودان، وانصر إخوتنا في الفلبين وفي كل مكان.

اللهم اجمع كلمة المختلفين من هذه الأمة علي الهدي، وقلوبهم علي التقي، ونفوسهم علي المحبة، وعزائمهم علي عمل الخير وخير العمل.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن إيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين. اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١٤)

معركة الإسلام والعلمانية[١]

الخطبة الأولي :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

أمتنا اليوم – ومنذ سنين وعقود – تخوض أخطر معاركها الفكرية. أخطر المعارك الفكرية التي تخوضها أمتنا في مشرق ومغرب هي معركة الإسلام والعلمانية.

العلمانية تعني : فصل الدين عن الحياة، عزل الدين عن المجتمع والدولة، حصر الدين في ضمير الفرد، فإن خرج فإلي المسجد، ولكنه ليس حراً طليقاً في المسجد يقول ما يشاء علي المنبر.

كيف تسللت العلمانية إلي ديارنا :

الإسلام والعلمانية ضدّان لا يلتقيان، ولهذا كانت المعركة بينهما أطول المعارك زمنا، وأعمقها تأثيراً، وأوسعها ميدانا، وأكثرها ضحايا. منذ أن دخل الاستعمار إلي بلاد المسلمين وهذه المعركة قائمة.

ظل المسلمون يحكّمون شريعتهم ويرجعون إليها في شئونهم، القاضي يحكم بالشريعة، والمفتي يفتي بالشريعة، والمسلم يعمل في خاصة نفسه وأهله بالشريعة، والتعليم في الكتاتيب والجوامع والمدارس يمضي علي الشريعة،

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب. بالدوحة في ٨ صفر ١٤١٧هـ – ١٣/٦/ ١٩٩٧م.

والتقاليد في الحياة الاجتماعية تحكمها الشريعة، حتي دخل الاستعمار بلاد المسلمين فعزل الإسلام عن الحياة، وجاء بقوانين من بلاده الأجنبية الغربية وحكمها في أعناق المسلمين، وأخضع التعليم لتأثيرات ومفاهيم غير إسلامية.

في مصر كان الذي يقود التعليم ويضع فلسفته ومناهجه: قسيس معروف اسمه (دنلوب)، كان وراء العملية التعليمية كلها. التقاليد أصبحت تتغير، بعد أن كانت المرأة المسلمة تلبس الملابس المحتشمة بدأت الطبقات العالية أو الارستقراطية كما يسمونها يقلدون الخواجات، والآخرون يقلدون هذه الطبقات، وهكذا بدأت الحياة تتغير بهذا المنهج التعليمي الجديد.

وهناك آخرون لم تكن بلادهم مستعمرة، ولكنهم فرضوا علي قومهم العلمانية، كما في تركيا.

كانت تركيا دولة الخلافة، وكانت الخلافة العثمانية تمثل آخر تجمع للمسلمين تحت راية العقيدة، علي ما كان بهذه الخلافة من مآخذ ونقاط ضعف وعيوب لا ننكرها، ولكنها كانت تقف سداً منيعاً أمام الاستعمار وأمام الصهيونية. رفض السلطان عبدالحميد أن يفرط في شبر من أرض فلسطين لليهود، وقد جاؤوا بملايين الجنيهات الذهبية، بعضها لشخصه وبعضها للدولة، ولكن الرجل أبي أن يفرط في شبر أرض من فلسطين لليهود.

تطرف العلمانية التركية:

ثم جاء كمال أتاتورك الذي انتصر بقوة المسلمين من ناحية، وبتآمر الحلفاء من ناحية أخري، فقد كانوا يتنازلون له ويتراجعون لأنهم يعلمون أنه مكسب للغرب. وانتهت الحرب معهم، وكانت النتيجة إلغاء الخلافة الإسلامية، وإلغاء الشريعة الإسلامية، وإلغاء التعليم الإسلامي، وإلغاء التقاليد الإسلامية، وإلغاء الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية.

حتي التقاليد ألغوها، لا يسمح لإنسان أن يلبس الطربوش وهذه حرية

شخصية، لا يسمح لامرأة أن تلبس الحجاب وهذه حرية شخصية وفريضة دينية، لا يسمح لشيخ أن يمشي في الشارع يلبس جُبّة وعمامة وهذه حرية شخصية.

وهكذا فرضت العلمانية التركية التقاليد الأجنبية والقوانين الأجنبية، حتي الأحوال الشخصية – التي بقيت في كثير من بلاد المسلمين تمثل الجانب الإسلامي الشرعي في الناحية القانونية.. الزواج والطلاق والميراث والأسرة وهذه الأشياء – لم تبق في تركيا للمسلمين.

حُرم تعدد الزوجات، حُرم الطلاق، سُوّي بين الذكر والأنثي في الميراث، أجيز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم! الأمور القطعية التي لا تجوز في الإسلام بحال من الأحوال والمعلومة من الدين بالضرورة أنكرتها العلمانية التركية، فهي علمانية مرتدة من غير شك.

مبررات فرض العلمانية في بلادنا:

بماذا بررت العلمانية التركية موقفها؟ أصدروا تقريراً قالوا فيه ما خلاصته: إن الحياة متغيرة والدنيا متطورة والإنسان يتغير من وقت إلي آخر، ولكن الدين والشريعة ثابتة، ولا يمكن أن نعالج الحياة المتغيرة المتطورة بشريعة ثابتة جامدة، ولهذا ينبغي أن يظل الدين بين الإنسان وربه، وأن تحكم الحياة بقوانين يضعها الناس لأنفسهم، أو يستوردونها ويقتبسونها من غيرهم، وبهذا تمضي الحياة!

هل هذه قضية صحيحة؟ لا، ليست الحياة كلها متغيرة، وليست الشريعة كلها ثابتة، القضيتان خاطئتان. الحياة فيها جزء ثابت وجزء متغير، والإنسان فيه جزء ثابت وجزء متغير، والكون فيه جزء ثابت وجزء متغير، فالدعوة بأن الحياة والدنيا والكون كله متغير دعوة غير مسلمة وغير صحيحة.

نحن في هذا الكون هناك أشياء ثابتة لا تتغير: الشمس والقمر والنجوم والأرض وسنن الله في الكون، هذه أشياء نعيش عليها وعاش عليها أجدادنا وعاش عليها الناس منذ آلاف السنين، ولكن هناك أشياء تتغير: هناك أراض خضراء تتصحر وهناك أراض صحراوية تخضر، هناك جزر تنشأ وجزر تذهب، هناك

أشياء متغيرة، إنما جوهر الكون ثابت. الحياة فيها أشياء ثابتة وأشياء متغيرة، والإنسان فيه أشياء ثابتة وأشياء متغيرة.

الإنسان تغير، تغير ما يأكله، تغير ما يلبسه، تغير سكنه، تغيرت معارفه، تغيرت أدوات سلاحه وأدوات طبخه، بعد أن كان يضع الشيء علي النار مباشرة صنع (وابور كاز)، وبعد ذلك صنع هذا الموقد (البوتكاز)، وبعد ذلك صنع الموقد الكهربائي. ولكن الإنسان هو الإنسان، لازال يأكل، ولا زال يشرب، ولازال يحتاج إلي الطعام وإلي الشراب، ولازال كما قال الله تعالي لآدم: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىٰ**﴾ [طه: ١١٨- ١١٩] أي لا تشعر بوقدة الشمس والحر، الجوع والعري والظمأ والضحي هذه أشياء ثابتة، حاجات الإنسان الأساسية هي هي.

منذ كانت البشرية أسرة واحدة من رجل وامرأة وأولادهما.. آدم وحواء وأولادهما، قتل ابن آدم الشرير أخاه الطيب الخير: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠]. وبعد أن قتله لم يكن يعرف ماذا يصنع بهذه الجثة، حتي بعث الله له غراباً يعلمه. وهذا دليل علي أن هذا هو أول ميت في التاريخ، لم يعرف ميت قبل ذلك ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾ [المائدة: ٣١]، الآن الناس يعرفون كيف يخفون آثار الجثث، وكيف يضعون محلولات كيماوية فتزيل آثار الجثة تماما.

تطورت أساليب الإنسان ولكن الإنسان هو الإنسان، لازال قابيل وهابيل، لازال الخير والشر يتصارعان، لازالت الفضيلة والرذيلة، لازال الإنسان الظالم المعتدي والإنسان الطيب المستسلم، جوهر الإنسان لم يتغير.

اطبخ بما شئت، اركب ما شئت، اركب رجليك، أو اركب حماراً، أو دابة، أو اركب سفينة شراعية، أو أركب سفينة بخارية، أو اركب السيارة أو الطائرة أو الصاروخ، أنت أنت، جوهر الإنسان هو هو.

فالذين يزعمون أن الحياة متغيرة، كأنهم يوهموننا أن جوهر الحياة وجوهر الإنسان وجوهر الكون متغير لا، الجوهر ثابت، التغير في الأغراض.. في الصور.. في التفاصيل، أما الجوهر أما الحقيقة فهي هي.

الشريعة بين الثبات والتغير:

فقضية أن الحياة متغيرة ومتطورة وأن الشريعة ثابتة وجامدة ولا تقبل التغير والتطور، قضية خاطئة تماما، وليس الأمر كما يقولون.

العقيدة ثابتة لأن الله واحد، ولا يمكن أن يكون اثنين بعد ذلك أو ثلاثة، هناك ملائكة لله موجودون هذه حقيقة لا تتغير، هناك يوم آخر هذه حقيقة ثابتة.

أما الشريعة ففيها دائرتان:

دائرة لا تقبل التجديد ولا التطور ولا التغيير، وهذه التي ثبتت أحكامها بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة. وهي كما قلت لكم من قبل محدودة جداً وقليلة جداً، ولكنها مهمة جداً جداً، لماذا؟ لأنها تمثل ثوابت الأمة، الثوابت التي لا يجوز اختراقها ولا يجوز الخروج عليها بحال من الأحوال، هذه دائرة.

وهناك دائرة واسعة تقبل التجديد، وتقبل الاجتهاد، وتقبل التطور.

من عوامل السعة والمرونة في شريعة الإسلام:

ومن أجل هذا نقول: إن الشريعة فيها عوامل عدة للسعة والمرونة ألفت فيها كتابا من قديم[1]، من هذه العوامل:

---

(١) عنوانه: (عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية)، طبعة دار الصحوة للنشر عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ثم طبعته بعد ذلك مكتبة وهبة بالقاهرة.

العامل الأول:

أن الله لم يقيد الناس بنصوص في كل شيء، بل هناك أمور ليس فيها نص قط، تركها الله سبحانه وتعالي منطقة فراغ تشريعي ليس فيها أمر ولا نهي سميتها منطقة (العفو) أخذنا من الحديث الشريف:(١) «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسي شيئا» ثم تلا قول الله تعالي: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. الله لا ينسي: ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، ترك هذه الأشياء قصدا لتكون عفواً، نملأها باجتهادنا في ضوء النصوص المحكمة، بالقياس علي المنصوص، بالعمل بالمصلحة المرسلة، بالعمل بالاستحسان، بمراعاة العرف، بالاستصحاب، بكذا بكذا، هكذا أوسع الله علينا.

في الحديث الآخر من الأحاديث الأربعين النّووية يقول: «إن الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها، وفرض أشياء فلا تضيّعوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»(٢). سكت عن هذه الأشياء رحمة من الله تعالي، فهذه منطقة متروكة ليس فيها أمر ولا نهي.

أشياء تركها الله تعالي لنا، وخصوصاً الأشياء التي تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان، لا تكاد تجد فيها نصوصا. الاجراءات الإدارية والأشياء السياسية تجد فيها نصوصا محدودة، والباقي متروك لاجتهاد الناس.

هذا أول عامل من عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية.

---

(١) رواه البزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٧٥) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية للقرضاوي: ص١٢).

(٢) رواه الدارقطني وحسنه النووي في الأربعين، وحسنه قبله أبو بكر السمعاني في أماليه وفي إسناده مقال بينه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية للقرضاوي: ص١١).

والعامل الثاني:

أن الأشياء التي نص عليها القرآن والسنة كثيراً ما يكون النص عليها بطريق كلي.. بطريق إجمالي، يضع فيها قاعدة، يقرر فيها مبدأ، ثم يترك التفاصيل لاجتهاد المسلمين حسب الزمان والمكان والحال، كما في قضية الشوري، الله قرر الشوري: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشوري: ٣٨] ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولكن كيف تكون الشوري؟ من المستشار؟ من هم أهل الشوري أو أهل الحل والعقد؟ وكيف نختارهم؟ لم يفصل الله في هذا، لأنه لو ألزمنا بصورة مفصلة من الشوري لأصبحت شرعا ثابتاً إلي يوم القيامة، ولكن الله أجمل في هذا وترك التفصيل لاجتهادنا، رحمة منه بنا، وفضلا منه علينا.

هذا أيضا عامل من عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية.

العامل الثالث:

عامل ثالث: أن مانص الله عليه بتفصيل نص عليه في أغلب الأحيان بنصوص فيها مرونة، تحتمل تعدد الاجتهادات واختلاف الأفهام والتفسيرات، ولو شاء عز وجل لجعلها كلها نصوصا قاطعة في ثبوتها ودلالتها. ولكنه جعل هذه النصوص فيها الحقيقة وفيها المجاز، وفيها المطلق والمقيد والخاص والعام، والمنطوق والمفهوم، وما يفهم بالإشارة وما يفهم بالعبارة إلي آخره، حتي تتسع الشريعة لاختلاف الأفهام والعقول، واختلاف الأزمان والعصور، واختلاف البيئات والأحوال، فهذه رحمة من الله تبارك وتعالي.

ولهذا تعددت المذاهب وتنوعت المشارب واختلفت المدارس الفقهية، ما بين أثري يقول بالأثر، وما بين ظاهري يأخذ بالظاهر، وما بين قياسي يأخذ بالرأي، وما بين مقاصدي يأخذ بالمقاصد، اتسعت الشريعة لذلك.

ودخلت الشريعة الإسلامية بلاد الحضارات القديمة، دخلت بلاد فارس وبلاد الروم وبلاد الشام وبلاد مصر وشمال أفريقيا، ولم يضق ذرعها بأي حادثة من الحوادث ولا بأي واقعة من الوقائع. بل كان فقهاؤها قادرين علي أن يضعوا

لكل مشكلة حلاً ولكلّ داء دواءٌ من صيدلية الشريعة نفسها، لا باستيراد من غيرها.

فهذه أيضا من عوامل السعة والمرونة.

العامل الرابع:

من عوامل السعة والمرونة: أن الشريعة فيها أشياء لأوقات السعة والاختيار، وأشياء لأوقات الضرورة والاضطرار.

الإسلام يراعي الضرورات فيبيح فيها المحظورات، الله تعالي في أربع آيات من كتابة أباح أكل المحرمات عند الضرورة: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

وهناك ضرورات تعتري الفرد وضرورات تعتري المجتمع، وأحكام هذه مفصلة في أحكام فقهنا الإسلامي الثري العريض.

العامل الخامس:

وهناك عامل خامس: وهو ما قرره المحققون من علماء الأمة: أن الفتوي تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. وهذا ما ذكره ابن القيم رحمه الله، وما ذكره قبله العلامة شهاب الدين القرافي المالكي، وذكره بعد علامة الحنفية المتأخرين ابن عابدين، وذكره الكثيرون.

وقد ذكرت لكم ما قاله ابن تيمية حينما مر علي جماعة من التتار يشربون الخمر، فقال لهم بعض أصحابه: يا أعداء الله تشربون الخمر أم الخبائث؟! فقال: دعهم فإن الله إنما حرم الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء ونهب الأموال! «خليهم» في سكرهم ولهوهم، إذا صحصحوا قتلوا الناس ونهبوا أموالهم.

انظر كيف نظر إلي مقصد الشريعة، وكيف وجد أن هؤلاء ينبغي أن يُفتوا بأمر آخر غير الأمر العادي. يمكن أن تترك صاحب المنكر علي منكره إذا خفت أن يأتي بمنكر أشد من هذا المنكر وأعظم منه نُكرا. هذا ما ينبغي لنا أن نعلمه.

العلامة الإمام ابن أبي زيد القيرواني من أئمة المالكية صاحب كتاب (الرسالة) المشهورة، اتخذ بيتا في طرف المدينة واتخذ له كلباً للحراسة، فزاره بعض العلماء فقالوا: يا أبا محمد، كيف تتخذ كلباً وأنت تعلم أن مالكاً رضي الله عنه يكره اقتناء الكلاب؟ فقال: لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسداً ضاريا! نحن في زمن قلّ فيه الأمن ويخاف فيه الناس.

فهذه كلها تدلنا علي أن الشريعة ليست - كما يقول هؤلاء - جامدة ثابتة. لا، الشريعة فيها قابلية للمرونة والتطور والتغير.

إذا فتح باب الاجتهاد لأهله في محله، فالعلماء المجتهدون قادرون علي أن يصنعوا طباً لكل أدواء الناس وأمراضهم من صيدلية الشريعة.

فهذا ما قاله هؤلاء الذين أرادوا أن يبرروا العلمانية.

هل الإسلام دين مثالي لا يصلح للتطبيق؟!

وآخرون أرادوا أن يبرروا العلمانية فقالوا: إن الإسلام دين مثاليّ وشريعته شريعة مثالية، لا تصلح للتطبيق في الواقع، ولذلك لم نجد الشريعة طُبقت إلا في عهد الخلفاء الراشدين، بل في عهد أبي بكر وعمر فقط، وأبو بكر عاش في الخلافة سنتين ونصف وعمر هذا كان فلتة لا تتكرر!

هكذا يقول هؤلاء، وهذا كذب علي التاريخ وعلي الإسلام. الإسلام ليس شريعة مثالية محلقة في الخيال، لا، الإسلام دين واقعي يشرع للإنسان من حيث هو إنسان، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «ساعة وساعة»[1] يعني ساعة

---

(١) جزء من حديث حنظلة، وفيه يقول ﷺ: «والذى نفسى بيده! لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة، على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات» رواه مسسلم في التوبة (٢٧٥٠).

لقلبك وساعة لربك، والقرآن يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وكل هؤلاء من الأمة المصطفاة، حتي الظالم لنفسه لم يخرج من الأمة.

الإسلام يشرع للناس جميعا، يشرع للإنسان العالي الذي هو أعلي من القاعدة، وللإنسان الوسط، وللإنسان الذي هو دون القاعدة، يراعي الجميع، يراعي أن الناس مستويات مختلفة. ومن أجل هذا شرع العقوبات لأنه يعلم أنه سيكون هناك أناس مخطئون، ومن أجل هذا أباح الضرورات، ومن أجل هذا جعل أحكاما للإنسان إذا أكره، وأحكاماً للإنسان إذا غضب، كطلاق الغضبان وغير ذلك.

الشريعة الإسلامية شريعة واقعية بكل معني الكلمة، تجمع بين النظرة إلي المثالية والنظرة إلي الواقع، توازن بين هذا موازنة لا يقدر عليها إلا خالق الإنسان وواهب الحياة، الله هو الذي وضع هذا النظام المتوازن للناس.

دعوي أن الشريعة مثالية لا تصلح للتطبيق هذا ليس صحيحاً، الشريعة وسعت المخطئين والمصيبين، والأغنياء والفقراء، والحكام والمحكومين، والرجال والنساء، والمجتمعات الحضارية والمجتمعات البدوية، وسعت هؤلاء جميعاً بأحكامها وقواعدها، وهي القواعد الواسعة المرنة التي وضعها فقهاء هذه الأمة: الأمور بمقاصدها.. المشقة تجلب التيسير.. لا ضرر ولا ضرار.. يتحمل الضرر الأدني لدفع الضرر الأعلي.. يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.. لا يُزال الضرر بالضرر أو لا يُزال الضرر بضرر مثله أو أكبر منه. قواعد تسع الحياة كلها.

الذين يقولون: إن الشريعة الإسلامية شريعة مثالية هذا ليس صحيحا، الشريعة واقعية مائة في المائة (١٠٠٪)، وهذا حكمت الأمة خلال اثني عشر قرنا علي الأقل قبل أن يدخل الاستعمار بلاد المسلمين. هل كان للمسلمين خلال تلك القرون شريعة غير هذه الشريعة؟

يقولون: لم تطبق إلاّ في عهد أبي بكر وعمر! وسائر حكام المسلمين الذين

أتوا من بعدهما هل وجد أحد منهم رفض الشريعة؟ لا يمكن، لو فعل ذلك لكان مرتداً ولخروج الناس عليه. القانون الذي كان يحتكم إليه الجميع ويحكم به القضاة في العالم الإسلامي كله هو الشريعة الإسلامية، وهو الذي كان يفتي علي أساسه المفتون. حينما يقع للإنسان قضية: زواج أو طلاق أو ميراث أو معاملة مالية إلي من كان يذهب الناس؟ كانوا يذهبون إلي المفتي ويسألونه. فالشريعة تحكم الأفراد وتحكم المجتمع.

الشريعة الإسلامية كانت هي الحاكمة خلال هذه الفترة ثم هم يذكرون الحكام المسلمين كأنهم كلهم ظلمة وطغاة، ليس هذا صحيحاً.

شبهات حول تاريخنا الإسلامي:

نحن نقول عن معاوية مثلا: إنه رجل انحرف عن سنن الراشدين، لأننا نحاكمه إلي عمر بن الخطاب وإلي علي بن أبي طالب، ونحن حينما نحاكمه إلي هؤلاء نجد: أنه قزم أمام هؤلاء العمالقة.

ولكن لو نظرنا إليه بالنسبة لملوك عصره لوجدناه من أعدل الحكام، ولو لم يكن كذلك ما تنازل له إمام جليل مثل الحسن بن علي الذي ذهب وقال له: أتنازل لك عن الخلافة، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري:[1] «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

لو كان معاوية بالسوء الذي تصوره كتب التاريخ المحرّفة – وللأسف تاريخنا فيه تحريف كثير ومسخ كثير ويحتاج إلي كتابته من جديد بأقلام مؤمنة – ما تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنهما.

هناك أناس صوروا هارون الرشيد وكأنه رجل خلاعة وفجور، مع أنه كان يغزو عاماً ويحج عاما، وفي العام الذي لا يحج فيه يبعث بثلاثمائة عالم يحجون علي نفقته، وكان رجلاً إذا وعظ بكي. وامتدت الدولة الإسلامية في عصره

---

(١) في صحيحه عن أبي بكرة رضي الله عنه في كتاب فضائل الصحابة باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم (٣٦٢٩).

وبلغت الأوج في العلم والحضارة. هل يمكن أن تبلغ الدولة هذا المبلغ من رجل يصفونه كأنه رجل لهو ولعب وخلاعة، هذا كله من تزييف التاريخ[1].

ثم لماذا لا يذكر هؤلاء العمالقة أمثال: عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود الشهيد وتلميذه صلاح الدين الأيوبي؟ لماذا لا يذكرون المظفر سيف الدين قطز والظاهر بيبرس؟ ولماذا لا يذكرون (اورانك زيب)[2] الذي حكم خمسين عاما في الهند، وكان مثالاً للحاكم الراشد، ومع أنه كان ملكاً من أعظم الملوك كان لا يأكل إلا من كتابة يده، وكان خطه جميلاً فكان يكتب المصاحف بخط يده؟

لماذا يصورون لنا تاريخنا علي أنه ظلمات بعضها فوق بعض؟ هذا التاريخ ظل محكوماً بالشريعة الإسلامية، حتي الحجاج الثقفي علي ظلمه وجبروته وطغيانه حينما أخذ جنوده رجلاً في مقابل ابن عمّ له لم يجدوه فاعتقلوه، ووقف الرجل أمام الحجاج يسأله فيم اعتقلت؟ قال له: إنه جني جان من عُرض عشيرتي فأخذتُ بسببه. قال له الحجاج: أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجنى عليك وقد ... تعدى الصحاحَ مبارك الجُرْب[3]

ولربّ مأخوذ بذنب عشيرة ... ونجا المقارف صاحب الذنب

قال الرجل: ولكني أيها الأمير سمعت الله تعالي قال غير ذلك. قال: ويحك وماذا قال الله؟ قال: قال علي لسان يوسف حينما قالوا له عن أخيه: ﴿**إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ**﴾ [يوسف: ٧٨ - ٧٩]. فقال الحجاج: صدق الله وكذب الشاعر، خلّوا سبيل الرجل.

---

(١) رد الشيخ القرضاوي علي دعاوي من ادعوا بأن تاريخنا الإسلامي تاريخ مظلم، مملوء بالظلم والجور والعسف، والميل عن حدود الله، والبعد عن الشوري والعدل فكتب شيخنا كتابه الممتع: (تاريخنا المفتري عليه) طبعة دار الشروق بالقاهرة، فليراجع لأهميته.

(٢) انظر في التعريف به ما كتبه أديب الفقهاء الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تحت عنوان (بقية الخلفاء الراشدين)، في كتاب (رجال من التاريخ)، ص (٢١٠ - ٢٢٠)، ط: دار الفكر بدمشق.

(٣) يعني: الأجرب قد يعدي السليم (القرضاوي).

الحجاج ينحني أمام النّصّ الإلهي! ما كان في هذه الأمة أحد يجرؤ علي أن يعطل أحكام الله علانية، إنما كان هناك من ينحرف من أجل الدنيا.. من أجل الهوي.. من أجل قرابة، أما الشريعة فكانت هي الحكم والمرجع الذي يرجع إليه الجميع.

ويقول بعض العلمانيين: كيف تريدون لنا أن نحكم بالشريعة الإسلامية في عصر ترك الناس فيه الدين؟ نحن في عصر العلم ولسنا في عصر الدين، الغرب تحرر من الدين فنهض وارتقي وأصبح يحكم نفسه بقوانين وضعية، فلماذا لا نقلد الغرب حتي نرتقي مثله؟

ونقول لهؤلاء: إن الغرب له دينه ولنا ديننا، لسنا عبيداً للغرب حتي نقلده، نحن لنا ديننا وميراثنا وشريعتنا، الغرب ليس عنده شريعة مثل شريعتنا. الغرب حكمه رجال الدين حكما مستبداً ظالما، وقفوا مع الجهل ضد العلم، ومع الظلم ضد العدل، ومع الاقطاع ضد العمال. ولكن المسجد غير الكنيسة، والإسلام غير المسيحية، وعلماء الإسلام غير رجال الكهنوت النصاري، فلماذا تطبقون علينا ما طبقه أولئك؟ نحن شيء غير هؤلاء.

لسنا أسري للغرب ولسنا عبيداً للغرب حتي يحكم علينا تاريخه، تاريخنا تاريخ مشرق، العصور التي يسمونها عندهم (العصور الوسطي المظلمة) هي العصور الذهبية عندنا، أقمنا فيها حضارة العلم والإيمان ودولة العدل والإحسان، وكنا سادة العالم لعدة قرون.

ماذا عند هؤلاء الذين يريدون أن يفرضوا علينا العلمانية؟ وماذا وراء العلمانية؟ وماذا كسبت الدول التي حكمتها العلمانية؟ والله ما كسبت شيئا، لأنها قهرت شعوبها ولازالت تقهرها.

العلمانية والحرية الدينية:

ماذا بين حزب الرفاه الإسلامي في تركيا وبين العلمانيين هناك؟ إنهم يريدون أن يلغوا المدارس القرآنية! آلاف المدارس القرآنية أنشأها الشعب هناك ليعلموا

أولادهم وبناتهم القرآن، وهؤلاء يريدون إلغاء هذه المدارس! ما الذي يؤلمكم أيها العلمانيون؟ ما الذي يضيركم من هذا الأمر؟ أيها الجيش العلماني في تركيا، ما الذي يضايقك في أن يحفظ الولد أو البنت: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ١-٤]؟!

يريدون إلغاء المدارس القرآنية وهي بالآلاف، يريدون إلغاء معاهد الأئمة والخطباء أو تقليصها، يريدون أن لا تطالب الحكومة بإعطاء حق المرأة المسلمة في لبس الحجاب! المرأة المتبرجة لها حق أن تلبس (المني جب) و(الميكروجب) وأن تعرّي الصدر والظهر والساقين والذراعين لأن هذا من الحرية الشخصية، وليس من الحرية الشخصية أن تغطي المرأة شعرها! هذا عجيب.

ماذا تريد العلمانية في بلاد المسلمين؟ تريد أن تقهر المسلم على ما لا يريد.

بعض البلاد العلمانية في شمال أفريقيا[1] تجعل الحجاب جريمة! المرأة المحجبة ترتكب جريمة إذا لبست الحجاب، لايجوز لها أن تدخل المدرسة، لايجوز لها أن تدخل الجامعة، لايجوز لها أن تُوظّف في الحكومة، لايجوز لها أن تدخل مستشفي للعلاج أو للولادة إلا إذا خلعت حجابها!

هذه هي العلمانية.

إنها تقهر الناس، وتقتل حرية الأفراد، وهم يدعون أنهم دعاة الحرية. أين الحرية؟ إنهم يريدون حرية الكفر لا حرية الفكر، حرية الفسوق لا حرية الحقوق، حرية الإلحاد والطغيان لا حرية الإنسان.

هذا ما يريده هؤلاء.

بعض هؤلاء يعتبرون الصلاة جريمة وخصوصا الصلاة في المساجد. حدثني

---

(١) الدولة هي تونس: وقد عرّى فضيلة الشيخ النظام العلماني في هذه الدولة، في كتابه: « التطرف العلماني في مواجهة الإسلام... نموذج تركيا وتونس » طبعة أندلسية للنشر والتوزيع. المنصورة. مصر.

بعض الشباب في تلك البلاد أنهم كانوا يذهبون ليصلوا الفجر في المسجد فكان رجال الأمن يمسكون بهم! قالوا: فتركنا الصلاة في المسجد وصلينا في بيوتنا، فكانوا يتطلعون إلي البيوت عند الفجر، فإذا أضيء النور عند أذان الفجر عرفوا أن هناك من يصلي، فوضعوا علامة علي هذا البيت، ووضع في القائمة السوداء!

عندما يتقدم أحدهم للعمل في وظيفة يكون من الأسئلة التي يُسأل عنها: هل تحافظ علي الصلوات الخمس؟! فماذا يقول الإنسان المحافظ؟ إن أجاب بنعم فستكون نقطة سوداء له.

هؤلاء هم الذين حرّموا تعدّد الزوجات وأباحوا الزنا كما قال شيخنا الشيخ عبد الحليم محمود في محاضرة له هنا في المعهد الديني منذ حوالي ثلاثين سنة[1]، قال: حدثني أحد الإخوة في بلد في شمال أفريقيا أن امرأته كبيرة في السن فتزوج امرأة أرملة بعقد شرعي غير موثق، فقدمت شكوي إلي الشرطة أن فلانا هذا خالف القانون وتزوج امرأة علي امرأته. وفعلاً عُمل له كمين وضُبط وهو يدخل عند هذه المرأة، وأُخذ للتحقيق معه، وقالوا له: أما علمت أن القانون يُحرم ويمنع تعدد الزوجات؟ قال لهم: نعم أعلم هذا، قالوا له: فلماذا تخالف القانون وتتزوج هذه المرأة؟ قال لهم: ومن قال لكم إنها امرأتي؟ هذه عشيقتي. قالوا له: نحن آسفون كنا نظنها امرأة لك، أطلقوا سراح الرجل!!

حرّموا ما أحل الله وأحلوا ما حرّم الله، أحلوا الزنا وهو من كبائر الإثم والفواحش: ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٣٢]. حرّموا تعدد الزوجات الذي يحتاج إليه الرجل وتحتاج إليه المرأة، وأباحوا تعدّد الخليلات والعشيقات! لماذا لا يتزوج الرجل من ثانية بدل أن يفكر في الحرام؟ ولماذا لا تتزوج المرأة من رجل متزوج بدل أن تعيش حياتها بغير رجل؟

---

(١) كما ذكرها بتفاصيلها الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله في فتاويه، انظر: فتاوي الإمام عبد الحليم محمود الجزء الثاني. طبعة دار المعارف بمصر.

جريمة فصل الدين عن السياسة:

ماذا فعل هؤلاء بالأمة إلا أنهم قهروها؟ قهروا الأمة وحرموها من هذا الدافع الديني، حرموها من صلتها بالدين.. بالله عز وجل.

كان أحد رؤساء الوزراء[1] يفاوض جماعة من الإسرائيليين، وقال لهم: إننا نفصل بين الدين والقومية والحياة والسياسة، فلا تقوم سياستنا علي أي مرتكزات دينية.

فقام أحدهم وقال له: يا سيادة رئيس الوزراء، لكم أن تفعلوا في دينكم ما شئتم، أما نحن فعندنا (الدين والشعب والوطن) أو (التوراة والشعب والوطن). عندهم هذه الأقانيم الثلاثة، هذا ما يفعله الإسرائيليون. هم يريدون أن تكون معركتهم قائمة علي أساس ديني، ونحن نريد أن نفرغ معركتنا من كل معني ديني.

فليتحاكموا إلي الشعوب:

إننا ندعو هؤلاء العلمانيين – إذا كانوا يتغنون بالديمقراطية ويقولون نحن ديمقراطيون ونؤمن بحق الشعب – أن يحتكموا إلي الشعب في استفتاء حر نزيه ويروا: ماذا تريد شعوب أمتنا العربية والإسلامية؟ هل تريد الشريعة الإسلامية أو العلمانية؟ هل تريد شرع الله أو قانون نابليون؟ نريد استفتاء صريحاً لنري مع من تكون الأمة؟

وستكون الأمة مع شرع الله.. مع محمد عليه الصلاة والسلام.. مع القرآن الكريم، ولن تكون أبداً مع القوانين الأجنبية ولا الأنظمة الأجنبية ولا المفاهيم الأجنبية.

ستظل الأمة مستمسكة بهويتها لا تتنازل عنها، معلنة أنها مع الإسلام

---

(١) هو رئيس وزراء مصر في عهد السادات د. مصطفي خليل، انظر تفصيل الحادثة في كتاب (الإسلام والعلمانية.. وجها لوجه) للدكتور يوسف القرضاوي. طبعة مكتبة وهبة بالقاهرة.

وبالإسلام وللإسلام، وهذا ما ينبغي أن يغالي به كلّ مسلم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَي اللَّه وعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣].

خسائر أمتنا من وراء العلمانية:

نحن ندعو أمتنا إلي أن تتمسك بدينها.. بشريعتها، وأن تطالب بذلك، وأن تصر عليه، فلا نجاة لهذه الأمة إلا بهذا الدين، ورحم الله الإمام مالك الذي قال: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وما صلح أولها إلا بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ.

وقد جربنا الاستيراد من الشرق والاستيراد من الغرب، جربنا الاقتباس من اليمين والاقتباس من اليسار، جربنا الرأسمالية الليبرالية المأخوذة من الغرب، وجربنا الاشتراكية الثورية المأخوذة من الشرق، فما أغنت عنّا الليبرالية ولا الاشتراكية.

ما حققنا رخاء اقتصاديا، ولا حققنا ازدهاراً..، ولا حققنا وحدة سياسية، ولا حققنا تماسكاً أخلاقيا، ولا حققنا نصراً عسكريا، ولازلنا ننزل من نكسة إلي نكسة إلي اليوم، كلّ مدّة نخسر أمام إسرائيل، (نتنياهو) مُصرّ علي موقفه ونحن نلهث وراءه، نشحذ، نتسول.

أي أمة هذه؟!

أيها العلمانيون، ماذا صنعتم بهذه الأمة؟ خرّبتم جوانية هذه الأمة، خرّبتم نفوسها وضمائرها. نريد أن نرتفع بنفوس هذه الأمة لتكون أمة عزة وكرامة.. أمة جهاد ونضال، لا تبع نفسها ولا شرفها، ولا وطنها ولا قطعة أرض من ديارها بملك المشرق والمغرب.

أيها العلمانيون الضعفاء المستهينون بكل قيمة وبكل فضيلة، دعوا مكانكم لغيركم، لا تصلحون لهذه الأمة، أفسدتم عليها كل شيء، دعوا لها الفرصة لتجرب الإسلام.

لماذا تقفون في وجه الإسلام؟ لا تريدون للإسلام أن يحكم لا بطريقة ديمقراطية كما في الجزائر، ولا بانقلاب أبيض كما في السودان. تريدون أن تقفوا

ضد كل دولة تعلن الشريعة كما وقفتم أمام السودان، وكما تقفون اليوم أمام حزب الرفاه الإسلامي.

نحن نريد لأمتنا أن تسود، وأن تقود، وأن تتبوأ مكانتها تحت الشمس، ولن تفعل ذلك إلا تحت ظلال الدين وتحت لواء الإسلام وتحت حكم الشريعة، وهذا قانون الله ولابد أن يأتي، لابد أن يأتي.

إنهم يحاولون أن يوقفوا زحف التاريخ، إنهم يحاولون أن يوقفوا طلوع النهار، إنهم يناطحون المريخ ويوقفون سنن الله، وهيهات أن يستطيع أحد أن يوقف سنن الله، لأن سنن الله ماضية ولا يمكن أن يوقفها أحد ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [فاطر: ٤٣] ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت: ٥٣]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالي لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد، فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا استجيب له، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا. اللهم أجمع كلمة هذه الأمة علي الهدي، وقلوبها علي التقي، ونفوسها علي المحبة، ونياتها علي الجهاد في سبيلك، وعزائمها علي عمل الخير وخير العمل.

اللهم انصرنا علي أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا علي اليهود المعتدين الغادرين، وانصرنا علي الوثنيين المتعصبين، وانصرنا علي الصليبيين الحاقدين، وانصرنا علي الملاحدة الجاحدين، وانصرنا علي الطغاة الجبارين، وانصرنا علي جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم رد عنا كيدهم وفل حدهم، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وسريع الحساب وهازم الأحزاب، اهزم أعداءنا واعداءك وانصرنا عليهم يارب العالمين. اللهم أيد إخوتنا المجاهدين في سبيلك، اللهم أيد إخوتنا في فلسطين ولبنان، وأيد إخوتنا في كشمير والسودان، وأيد إخوتنا في كل مكان، وخُذ بأيدي إخوتنا الممتحنين والمضطهدين والمعتقلين، اللهم أفكك بقوتك أسرهم واجبر برحمتك كسرهم وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠]

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَي الْقَومِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧]

عباد الله، يقول الله تعالي: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلي وسلم علي عبدك ورسولك محمد، وعلي آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَيٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *